

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:







المقدمة

الحمد لله الكريم المتفضل بالعطايا والإحسان، والصلاة والسلام على أجود الناس وأبرهم، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد فتح الله علينا أبواب جوده وكرمه، فدرَّ الضرع، وكثـــر الزرع، وأخرجت الأرض كنوزها، ففاضت الأموال بأيدي الناس، وأصبحوا في رغد عيش وبحبوحة من الرزق. ورغم هذه العطايـــا العظيمة والنعم الجسيمة إلا أن البعض نفسه شحيحة ويده مقبوضة.

فأحببت أن أذكر بفضل الصدقة وأثرها في الـــدنيا والآخـــرة، مستهديا بقول الله عز وجل، ومستنيراً بحديث الرسول ﷺ، ومذكراً بأفعال السلف الصالح.

وهذا هو الجزء السادس عشر من سلسلة «أيـــن نحـــن مـــن هؤلاء؟» تحت عنوان : «ولو بشق تمرة» فيه من الآيات والأحاديث وأطايب الكلام ما يحث على صدقة التطوع ويرغب فيها، فلا أرى أسعد منا حالا ولا أطيب منا عيشا في هذا الزمن الذي استرعانا الله فيه أمانة هذه الخيرات لينظر كيف نصنع.

جعلنا الله ووالدينا من الذين يتبوؤن من الجنة غرفاً تجري مـــن تحتها الأنهار.

عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

مدخل

قال الله تعالى في وصف عباده المتقين: ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْــوَالِهِمْ حَــقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾[١]

وقد وعد الله عز وجل، وهو الجواد الكريم الــذي لا يخلــف الميعاد، بالخلف لمن أنفق، فقال تعالى : ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾[٢].

وأجزل العطية للمنفقين بأعظم مما أنفقوا أضعافا كثيرة في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّــهَ قَرْضًــا حَسَــنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**﴾[٣].

وذكر جل وعلا آداب الإنفاق، ورتب لمن تمسك بها الأجــر والأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، فقال تعالى ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُــونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُــمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[٤].

والآيات في الحث على الإنفاق كثيرة جداً وهي مــن أبــواب الخير العظيمة. وبذل الأموال في الإسلام يعد جهادا في ســبيل الله، بل إن الجهاد بالنفس في جميع الآيات التي ورد فيها ذكر الجهاد في

(١) سورة الذاريات، الآيات: ١٧-١٩.
(٢) سورة سبأ، الآية:٣٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.
(٤) سورة البقرة، الآية:٢٦٢.

القرآن العظيم ما عدا آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ**﴾ (١).

والصدقة من أفضل القربات، وهي أفضل من الجهاد، لاسيما إذا كان زمن مجاعة على المحاويج، خصوصا صاحب العائلة، خصوصا القرابة، ومن الحج، لأنه متعد والحج قاصر(٢).

ففيها تفريج كربة، وإغناء عن سؤال، وإشباع جائع، وفرحة لصغير، وسرور يدخل على قلب الكبير، وسعادة بين المسلمين. وتتجلى في الصدقة أسمى صورة للتكاتف والتعاون والتراحم بين المسلمين.

وفي الصدقة من أحاديث الرسول ﷺ ما تقر به النفوس، وتهنأ به الصدور، ويستحث بها المسلم الخُطا إلى جنة عرضها السماوات والأرض في طريق آمنة مطمئنة.

فعنه ﷺ أنه قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»(٣).

وقال ﷺ: «**الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار**»(٤).

---

(١) سورة التوبة، الآية :١١١.

(٢) حاشية الروض ٣/٣٣٨.

(٣) متفق عليه.

(٤) حديث صحيح. انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سـبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» وذكر منهم رجلاً «**تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»(١).

وقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في العطاء والإنفـاق حتى أتته النفوس طائعة والقلوب ملبية.

قال أنس رضي الله عنه : «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل، فأعطاه غنما بين جبلين، فرجـع إلى قومه فقال: يا قوم! أسلموا، فإن محمداً يعطي عطـاء مـن لا يخشى الفقر..»(٢).

وللممسكين والمقترين نبشرهم بحديث الصادق الذي لا ينطق عن الهوى حيث قال: «**ما نقصت صدقة من مال، ومـا زاد الله عبداً بعفو إلا عزا، وما تواضـع أحـد لله إلا رفعـه الله عـز وجل**»(٣).

وعنه ﷺ أنه قال: «**قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم ينفـق الله عليك**»(٤).

وهذه صورة من صور التنافس على الخير بين الصحابة رضـي الله عنهم، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسـول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مالا عندي فقلت : اليوم أسبق أبا

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

بكر إن سبقته يوما. قال : فجئت بنصف مالي، قـــال : فقـــال لي رسول الله ﷺ : «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت: مثله. وأتى أبو بكـــر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال : أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدا [(١)].

قال ابن القيم رحمه الله : وقد دل النقـــل والعقـــل والفطـــرة وتجارب الأمم – على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها – على أن التقرب إلى الله رب العالمين، وطلب مرضاته، والبر والإحســـان إلى خلقه، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكـــبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقمة بمثل طاعته والتقرب إليه، والإحسان إلى خلقه.

وقال رحمه الله : من رفق بعباد الله رفق الله به، ومن رحمهـــم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليـــه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه.

وفي صورة من صور الإيثار في صدر الإسلام الـــتي حفظهـــا التاريخ على مر الأيام والعصور، ما قاله عمر رضي الله عنه: أُهْدِيَ إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي كان أحوج مني إليه، فبعث به إليه. فلم يزل واحد يبعث بـــه إلى آخـــر

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأول[١].

كانت هذه أخلاقهم وتلك صفاهم، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

قال يحيى بن معاذ: ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة [٢].

وكان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه إلى ربه عز وجل [٣]، وذلك امتثالا لقول الله عز وجل : **﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾**[٤].

وكثير من الناس اليوم إذا بليت ثيابه أو تقطعت نعاله دفع بهـــا إلى الفقراء وكأنه يتخلص منها!!.

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: عليك بالصدقة بما قـــل أو كثر، فإن في الصدقة عشر خصال محمـــودة : خمســـة في الـــدنيا، وخمسة في الآخرة، فأما الخمسة التي في الدنيا:

فأولها : تطهير المال كما قال النبي ﷺ : «**ألا إن البيع يحضره اللغو والحلف والكذب فشوبوه بالصدقة**».

والثاني: أن فيها تطهير البدن من الذنوب كما قـــال الله عـــز

---

(١) الإحياء ٣/٢٧٣.

(٢) الإحياء ١/٢٦٧.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية:٩٢.

وجل: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ**﴾(١).

والثالث: أن فيها دفع البلاء والأمراض كما قال الـــنبي ﷺ : «**داووا مرضاكم بالصدقة**».

والرابع: أن فيها إدخال السرور علـــى المســـاكين. وأفضـــل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين.

والخامس : أن فيها بركة في المال وسعة في الرزق كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾.

وأما الخمسة التي في الآخرة:

فأولها: أن تكون الصدقة ظلا لصاحبها من شدة الحر.

والثاني: أن فيها خفة الحساب.

والثالث: أنها تثقل الميزان.

والرابع: جواز على الصراط.

والخامس: زيادة الدرجات في الجنة.

ولو لم يكن في الصدقة فضيلة سوى دعاء المســـاكين لكـــان الواجب على العاقل أن يرغب فيها، فكيف وفيها رضا الله تعـــالى ورغم الشيطان؟ وفيها الاقتداء بالصالحين، لأن الصالحين كانـــت همتهم الصدقة (٢).

---

(١) سورة التوبة، الآية:١٠٣.

(٢) تنبيه الغافلين ص ٢٤٧.

قال ابن القيم رحمه الله: فإن الصدقة تُفدي مـــن عـــذاب الله تعالى، فإن ذنوب العبد وخطاياه تقتضي هلاكه، فتجيء الصـــدقة تفديه من العذاب، وتفكه منه، ولهذا قال الـــنبي ﷺ في الحـــديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد : «**يا معشر النساء، تصـــدقن ولو من حليكن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**» وكأنـــه حـــثهن ورغبهن على ما يفدين به أنفسهن من النار.

وأثر الصدقة واضح على النفس، وفي بركة الأموال والأولاد، ودفع البلاء، وجلب الرخاء، كما أن المتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره.

وعليك أيها المنفق بقول جعفر بن محمد لسفيان الثـــوري : لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجله، وتصغيره (في عينك حتى وإن كان كبيرا) وستره [(١)].

ومن صور الإنفاق العالية فعل ابن عمر رضي الله عنهما، فقد كان يستغرق في المجلس ثلاثين ألفا، ثم يأتي عليه شهر مـــا يأكـــل مزعة لحم [(٢)].

أيها الحبيب:

كانوا يقدمون ولا يؤخرون، ويعجلون ولا يسوفون، ويزرعون في الدنيا ويحصدون للآخرة، لم تكن الدنيا إلا مطية يعتلونها ســـيرا إلى الله، و لم تكن الأموال إلا مركباً لرضا الله عز وجل، تسير حيث

(١) صفة الصفوة ١٦٩/٢، حلية الأولياء ١٩٨/٣.

(٢) السير ٢١٨/٣.

ما أمر الله عز وجل، ولهذا كانت الدنيا لديهم حقيرة ذليلة.

قال –شيخ الإسلام– الإمام ابن تيمية: ثم ينبغي له أن يأخـــذ المال بسخاوة نفس ليُبارك له فيه، ولا يأخذه بإسراف وهلع، بـــل يكون المال عنده بمترلة الخلاء الذي يحتاج إليه من غير أن يكون له في القلب مكانة، والسعي فيه إذا سعى كإصلاح الخلاء [١].

وقال يحيى بن معاذ وكأنه يطل على حال كثير من أهل الدنيا: عجبت من ثلاث : رجل يرائي بعمله مخلوقا مثله ويترك أن يعملـــه لله، ورجل يبخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه منـــه شـــيئا، ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودهم، والله يدعوه إلى صحبته ومودته.

أخي المسلم:

ويظهر عيب المـــرء في النـــاس بخلـــه
ويســـتره عنـــهم جميعـــا ســـخاؤه
تغـــط بـــأثواب الســـخاء فـــإنني
أرى كل عيب فالســـخاء غطـــاؤه[٢]

عن عروة قال : لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفا وهي ترقع درعها [٣].

رضي الله عنها وأرضاها. إنها أم المؤمنين التي نشأت في بيـــت

---

(١) مجموع الفتاوى ٦٦٢/١٠.
(٢) فضائل الذكر ص٤٠.
(٣) صفة الصفوة ٣٠/٢.

الصديق أبي بكر رضي الله عنه وتربت في بيت النبوة.

وعنها رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ : «**ما بقي منها؟**» قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال : «**بقي كلــها غــير كتفها**»(١).

إن هذا الدرهم الذي نجمعه والدينار الذي نكتره لا ثمرة له إلا بالإنفاق، ولا أثر له إلا إذا فارق مكانه.

قال الحسن: بئس الرفيق الدينار والدرهم لا ينفعانـــك حــتى يفارقاك(٢).

ومن صور المفارقة الطيبة إخراجه في أبـــواب الـــبر ومواقــع الإحسان التي لها أثر في الدنيا والآخرة، فالصدقة أثرها عظيم نراه في واقع حياتنا وفي سائر أحوالنا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فإن للصدقة تأثيراً عجيبا في دفع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر، فإن الله يدفع بها عنه أنواعا من البلاء، وهذا أمر معلــوم عنــد النــاس خاصــتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه.

قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه : الصلاة عماد الإســلام، والجهاد سنام العمل، والصدقة شيء عجيــب، والصــدقة شــيء عجيب، والصدقة شيء عجيب (٣).

(١) رواه الترمذي.
(٢) السير ٩٥/١٦.
(٣) تنبيه الغافلين ص ٢٤٣.

ومن آثارها العجيبة في الدنيا ما روي عن رسول الله ﷺ أنـــه قال: «**بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حـــرة [١] فإذا تلك الشراج [٢] قد استوعبت ذلك الماء كلـــه، فتتبـــع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال لـــه : عبد الله! ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في الســحابة، فقال له: يا عبد الله! لِمَ تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخـــرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاُ، وأرد فيها ثلثه**»[٣].

ومن لم ينفق فقد أساء الظن بالله من عدم الخلـــف في الـــدنيا والأجر والمثوبة في الآخرة.

قال أبو سليمان الداراني: من وثق بالله في رزقه زاد في حســـن خُلُقه، وأعقبه الحلم، وسخت نفسه في نفقته، وقلت وساوســـه في صلاته [٤].

فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمترلة حماره الذي يركبه، بساطه الذي يجلس عليه، بل بمترله الكنيف الذي يقضي فيه حاجته من غير أن يستعبده، فيكون هلوعاً، إذا مسه الشر جزوعـــاً، وإذا

(١) الأرض الملبسة حجارة سوداء.
(٢) الشرجة : هي مسيل الماء.
(٣) رواه مسلم.
(٤) حلية الأولياء ٩/٢٥٧.

مسه الخير منوعاً [١].

فالواجب على المسلم العاقل أن يجعل الدنيا في يده وليست في قلبه، حتى وإن كثرت، فإنها في يده أسهل خروجاً وسخاء.

رأى الأحنف بن قيس في يد رجل درهماً، فقال: لمن هذا؟ قال لي. قال: ليس هو لك حتى تخرجه في أجر أو اكتســاب شــكر. وتمثل:

أنت للمــال إذا أمســكته وإذا أنفقتــه فالمــال لــك

أخي المسلم:

اعلم أن المال إن كان مفقودا فينبغي أن تكون حــال العبــد القناعة وقلة الحرص، وإن كان موجوداً فينبغي أن تكــون حالــه الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل، فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام هو أصل مــن أصــول النجاة[٢].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قــال: إن اســتطعت أن تجعل كترك حيث لا يأكله السوس، ولا تناله اللصــوص، فافعــل بالصدقة [٣].

قال الله جل وعلا:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨٩/١٠.
(٢) الإحياء ٢٥٨/٣.
(٣) تنبيه الغافلين ص٢٤٧.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(١). وسمى الله هذا الإنفاق قرضا حسناً، حثا للنفوس، وبعثا لها على البذل، لأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه ولابد طوعت له نفسه، وسهل عليه إخراجه، فإن علم أن المستقرض مليء وفيٌّ محسن، كان أبلغ في طيب فعله سماحة نفسه. فإن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه، وينميه له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح. فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجراً آخر من غير جنس القرض، فإن ذلك الأجر حظ عظيم، وعطاء كريم، فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفة في نفسه من البخل والشح، أو عدم الثقة بالضمان، وذلك من ضعف إيمانه، ولهذا كانت الصدقة برهانا لصاحبها.

وحيث جاء هذا القرض في القرآن قيده بكونه حسناً، وذلك يجمع أموراً ثلاثة:

أحدها: أن يكون من طيب ماله، لا من رديئه وخبيثه.

والثاني: أن يخرجه طيبة به نفسه، ثابتة عند بذله، ابتغاء مرضاة الله.

الثالث: أن لا يمن به ولا يؤذي.

فالأول يتعلق بالمال، والثاني يتعلق بالمنفق بينه وبين الله، والثالث

(١) سورة البقرة، الآية:٢٤٥.

بينه وبين الآخذ [١].

والبخل صفة دنيئة، هجر مركبها الأنبياء والصالحون، بل حتى كرام العرب في الجاهلية علموا أنها سوء موطن.

قالت أم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان: أف للبخل، لو كان قميصا ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكته.

وعندما سئل الحسن رضي الله عنه عن البخل قال: هو أن يرى الرجل ما أنفق تلفا وما أمسك شرفاً[٢].

وقيل لعلي : ما السخاء؟ قال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياء وكرم[٣].

أخي الحبيب : أين نحن من هؤلاء؟

قال سعيد بن العاصي لابنه: يا بني، أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداء من مسألة، فأما إذا أتاك الرجل تكاد ترى دمه في وجهه أو جاءك مخاطراً لا يدري، أتعطيه أم تمنعه؟ فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته [٤]؟

وقال رسول الله ﷺ حاثاً على الخير : «**ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان : من عبد الله عز وجل وحده بأنـــه لا إلـــه إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام، ولم يعط الهرمة،**

(١) التفسير الميسر لابن القيم ص ١٤٨ وما بعدها.
(٢) مكاشفة القلوب ص ١٢٢.
(٣) تاريخ الخلفاء ص ١٧.
(٤) البداية والنهاية: ٩٣/٨.

ولا الدرنة، ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم، فإن الله عز وجل لم يسألكم خيرها، ولم يأمركم بشرها، وزكى نفسه، فقـال رجل : وما تزكية النفس ؟ فقال:أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان »[1].

فجعل النبي ﷺ تزكية النفس إحدى الخصال الموجبة لتـذوق طعم الإيمان.

أخي المسلم:

ضرب الرَّبِيعَ الفالجُ، وطال به وجعه، فاشتهى لحـم دجـاج فكفَّ نفسه أربعين يوماً، ثم حكى لامرأته فاشترت دجاجة بدرهم ودانقين فسوتها، وخبزت له خبزا، وجعلت له أصباغاً كالحلوى، ثم جاءت بالخوان، فلما ذهب ليأكل قام سائل، فقال : تصدقوا عليَّ.

فكفَّ، وقال : خذي هذا فادفعيه إليه.

قالت : فأنا أصنع ما هو أحب إليه.

قال: وما هو؟

قالت : نعطيه ثمن هذا، وتأكل أنت شهوتك.

قال : قد أحسنت ، إيتيني بثمنه.

فجاءت بثمن الدجاجة والخبز والأصباغ.

فقال: ضعيه على هذا وادفعيه جمعيا إلى السائل [2].

---

(١) أخرجه الطبراني وصححه الألباني.

(٢) أحسن المحاسن ص ٢٨٩.

ونحن قد أنعم الله علينا وبسط لنا من خيرات الأرض.

أصبح همٌّ الكثير المأكل والمشرب والملبس والمسكن. تفـاخر ومباهاة وشره وطمع!! تعال لنر كيف كان السـلف يجاهـدون أنفسهم وبماذا ألزموها؟!

عن جابر بن عبد الله قال: رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقـاً في يدي فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت : اشتهيت لحمـاً فاشـتريته، فقال عمر: أفكلما اشتهيت يا جابر اشتريت؟! أما تخاف هذه الآية يا جابر: ﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا**﴾؟[1].

أخي المسلم:

الفقير محتاج، والمسكين يتلهف لطارق يطرق عليه بابه ويناوله ما تيسر في يده. هذا واقعه: شدة حاجة وعوز وفقـر ومسـغبة. ولكن مع حاجته الماسة تلك إلا أننا أحوج من الفقـير، نحـن في حاجة ماسة إلى ثواب الصدقة وأجر البر والإحسان في يوم تشخص فيه الأبصار. فحاجته دنيوية، وحاجتنا دنيوية وأخروية.

قال الشعبي: من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه.

وقال عبد العزيز بن عمير: الصلاة تبلغك نصـف الطريـق، والصوم يبلغك باب المُلْك، والصدقة تدخلك عليه.

وقال عبيد بن عمير: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كـانوا

(١) تاريخ عمر لابن الجوزي ص ١١٩.

قط، وأعطش ما كانوا قط، فمن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقى لله سقاه والله، ومن كسا لله كساه الله.

قال عبد الله بن مسعود: من استطاع منكم أن يجعـــل كـــتره حيث لا يأكله السوس ولا يناله السُّرَّاق فليفعل، فإن قلب الرجـــل مع كتره[1].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**أيكم مال وارثه أحب إليـــه من ماله؟**» قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه. قال : «**فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر**»[2].

وفي صورة من صور الإنفاق العجيب والسخاء المنقطع النظير كانت أسماء بنت أبي بكر لا تدخر شيئا للغد [3].

ونحن والله يُخشى علينا العقوبة من كثرة ادخارنا وعدم إنفاقنا، فالبعض تمر عليه شهور و لم ينفق من هذه الخيرات، والبعض ربما لا يعرف الصدقة إلا في رمضان، وإن خرجت فهي مـــن أردأ مـــا في بيته وأقله، وتراه ينفق أضعافاً مضاعفة لعلاج نفسه أو دفـــع بـــلاء أصابه، ونسي أنه يستدفع بالقليل من الصدقة أنواع البلاء وشـــتى الخطوب.

ركب شعبة بن الحجاج حماراً له، فلقيه سليمان بـــن المغـــيرة فشكا إليه، فقال له شعبة : والله ما أملك إلا هذا الحمار، ثم نـــزل

(١) حلية الأولياء ١٣٥/١ صفة الصفوة ٤٢٠/١.
(٢) رواه البخاري.
(٣) السير ٣٨٠/٣.

ودفعه إليه [١].

أخي المسلم:

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات. فأرفع درجة السخاء الإيثار، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة، وإنما السخاء عبارة عن بذل ما لا يُحتاج إليه لمحتاج أو لغير محتاج، والبذل مـــع الحاجة أشد. وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنســـان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة، فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى، ويشـــتهي الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن، ولو وجدها مجانا لأكلها. فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة، وذلك يؤثر على نفسه غيره مـــع أنه محتاج إليه. فانظر ما بين الرجلين! فإن الأخلاق عطايا يضـــعها الله حيث يشاء. وليس بعد الإيثار درجة في السخاء [٢].

ولكثرة النعم التي تظلنا والخيرات التي تأتي إلينا لابد أن نتأمـــل قول سلمة بن دينار: إذا رأيت الله عز وجل يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره [٣].

أيها الحبيب:

ها أنت تصرخ: إنها أموالي، ودوري وقصـــوري، وطعـــامي وشرابي، ولكن هاك حديث الرسول ﷺ يرد عليك قولك: «**يقول**

(١) حلية الأولياء ١٤٦/٧.
(٢) الإحياء ٢٧٢/٣.
(٣) صفة الصفوة ٥٧/٢.

العبد مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لــبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى ما سوى ذلك فهـــو ذاهـــب وتاركـــه للناس»[١]. عند هذا الرحيل يأتيك قول الله عز وجل : **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾**[٢].

وقد قسم الله الأرزاق كما قسم الآجال بين عبـــاده بحكمتــه وعلمه وعدله، فأعطى الغني ليشكر ويُبْذِل، ومنع الفقـــير ليصـــبر ويرضى ويستعفف، وكافأه بحديث الرسول ﷺ : «**يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام**»[٣].

وهذا الفقير الذي لا يملك من الدنيا إلا اليسير. قال رسول الله ﷺ : عن أحدهم «**رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم علـــى الله لأبره**»[٤].

أخي المسلم:

نحن الآن في رغد عيش ونعم عظيمة لا تعد ولا تحصى. إذا لم ننفق الآن ونتوسع في ذلك ونحن على هذه الحـــال الطيبـــة — ولله الحمد- فمتى ننفق؟! أإذا حل الفقر بساحتنا؟! أم إذا نزل المـــوت بأرواحنا؟!

---

(١) رواه مسلم.
(٢) سورة آل عمران، الآية:٣٠.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه مسلم.

لـــــيس في كـــــل حالـــــة وأوان
تتـــــهيأ صـــــنائع الإحســـــان
فـــإذا أمكنـــت فبـــادر إليهـــا
ذرًا مـــــن تعـــــذر الإمكـــــان [١]

قال الحسن: من أيقن بالخلف جاد بالعطية [٢].

وقال أبو وائل شقيق بن سلمة: دخلنا على خباب بـــن الأرت في مرضه فقال: إن في هذا التابوت ثمانين ألف درهـــم، والله مـــا شددت لها من خيط، ولا منعتها من سائل.

عن عمرو بن دينار قال: دخل علي بن الحسين (ابن علي) على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل محمد يبكي، فقال علـــي: ما شأنك؟ قال : عليَّ دين، قال : كم هو ؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، قال : فهو عليَّ.

وفي المال – أيها المسلم – حقوق سوى الزكاة، نحو مواســاة قرابة، وصلة إخوانه، وإعطاء سائل، وإعانة محتاج، وغير ذلك.

عن الشعبي قال: ما مات لي قرابة وعليه دَيْن إلا قضيته عنه [٣].

ولأحمد عن أبي أيوب مرفوعاً : «**أفضل الصـــدقة علـــى ذي**

(١) السير١٨/٤١٩.
(٢) الحسن البصري ص ٣٢.
(٣) تذكرة الحفاظ ١/٨١.

الرحم الكاشح» أي العدو المضمر للعداوة الطاوي عليها كشـــحه (أي باطنه) والذي يطوي عنك كشحه ويألفك.

وقال ﷺ: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الـــرحم اثنتان، صدقة وصلة**» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمر النبي ﷺ بالصدقة فقال رجل: يا رسول الله ! عندي دينار فقال : «**تصـــدق بـــه علـــى نفسك**» فقال : عندي آخر. قال : «**تصدق به على ولدك**» قال : عندي آخر. قال: «**تصدق به على زوجك**» قال: عندي آخـــر. قال : «**تصدق به على خادمك**» قال: عندي آخر. قال: «**أنـــت أبصر**».

وعنه ﷺ أنه قال: «**أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقـــه على عياله**» (٢).

وقال أبو قلابة: وأي رجل أعظم أجرا من رجل ينفـــق علـــى عيال صغار، يعفهم، أو ينفعه الله بهم ويغنيهم؟

والبخل – والعياذ بالله – إذا دخل قلب الرجل أغلـــق دونـــه أبواب الإنفاق على نفسه وأهله وعامة الناس. ولهذا تعوذ الرســـول ﷺ من البخل فقال : «**اللهم إني أعوذ بك من الهـــم والحـــزن، والعجز والكسل، والبخل والجـــبن، وضـــلع الـــدين، وغلبـــة**

(١) رواه الخمسة.

(٢) رواه مسلم.

الرجال»[١].

* جاء رجل في حمالة أربع ديات سأل فيها أهل المدينة، فقيـــل له: عليك بالحسن بن علي أو عبد الله بن جعفر أو سعيد بن العاص أو عبد الله بن عباس، فانطلق إلى المسجد فإذا سعيد داخل إليـــه، فقال: من هذا؟ فقيل سعيد بن العاص. فقصده، فذكر له ما أقدمه، فتركه حتى انصرف من المسجد إلى المترل، فقال للأعرابي : ائت بمن يحمل معك.

فقال: رحمك الله، إنما سألتك مالاً قراً، فقال: أعرف، ائت بمن يحمل معك.

فأعطاه أربعين ألفاً، فأخذها الأعرابي وانصـــرف و لم يســـأل غيره[٢].

وليس الإنفاق قاصرًا على أصحاب الأموال العظيمة، بل كل له سهم، ونحن لنا في ذلك سهام بما عندنا من مال وملبس ومأكل.

هذا أبو هريرة يسأل الرسول ﷺ بقوله: أي الصدقة أفضـــل؟ قال ﷺ : «**جهد المقلِّ، وابدأ بمن تعول**» [٣].

وجهد المقلِّ: أي طاقته، والمقصود إخراج شيء من قليل، بمعنى أن الإنسان يرى نفسه فقيراً، ولكن يجود من القليل ابتغاء ثواب الله وكرمه وانتظار فضله.

(١) رواه البخاري.
(٢) البداية والنهاية ٩٣/٨.
(٣) رواه أبو داود والحاكم.

وعنه رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ «**سبق درهم مائة ألف درهم**». فقال رجل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال: «**رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها، ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به**»(١).

فالنبي ﷺ يبين لنا ثواب الصدقة الخارجة من مال الفقير، يضاعف أجرها مئات لأن الغني يجود عن سعة، وينفق عن كثرة ولكن الفقير يدعوه إيمانه بربه إلى الإنفاق وينتظر رزق الله. وقد روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بتمرة واحدة (٢).

سئل أبو ذر الغفاري عن الصوم؟ فقال : قربة وليس هناك فضل، قيل : فأي الصدقة أفضل؟ قال: أكثرها فأكثرها، ثم قرأ: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾(٣).

قيل : فمن لم يكن عنده؟ قال: عفو مال. يعني يتصدق بفضل مال.

قيل : فمن لم يكن عنده مال؟ قال: فعفو طعام.

قيل: فمن لم يكن عنده؟ قال: بغبن يفوته.

---

(١) رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان، وحسنه الألباني.

(٢) وقد رأيت أحد العمال المساكين يتصدق بريالات قليلة على فقير كان بباب المسجد، فتأثرت من عمله رغم غربته وحاجته الظاهرة!!.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

قيل : فمن لم يفعل؟ قال: يتقي النار ولو بشق تمرة.

قيل: فمن لم يفعل؟ قال : يكف نفسه، يعني لا يظلم النـــاس [١].

أخي الحبيب: أين نحن من هؤلاء؟

كان الربيع بن خيثم لا يعطي أقل من رغيف، ويقـــول : إني لأستحي أن يرى في ميزاني أقل من رغيف.

وقال أبو اسحاق الطبري : كان النجاد يصوم الدهر، ويفطـــر على رغيف ويترك منه لقمة، فإذا كان ليلة الجمعة أكل تلك اللقم التي استفضلها وتصدق بالرغيف [٢].

يفـــني البخيـــل بجمـــع المـــال مدتـــه
وللحـــوادث والـــوارث مـــا يـــدع
كـــدودة القـــز مـــا تبنيـــه يخنقهـــا
وغيرهـــا بالـــذي تبنيـــه ينتفـــع [٣]

كان علي بن الحسن بن علي إذا أتاه سائل رحب به وقـــال: مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة.

وصدق فإن هؤلاء أبواب لنا نحو الصدقة والإنفاق، ومن يُـــرد الآخرة يتعنَّ ويتعب ويبحث ويدقق حتى يجدهم خاصة المتعففـــون

---

(١) تنبيه الغافلين ص ٢٤٣.
(٢) تذكرة الحفاظ ٨٦٨/٣.
(٣) البداية والنهاية ١٣/١١.

من كبار السن والأرامل والأيتام.

كما ينبغي للمتصدق أن يتحرى في صدقته أهل الخير والصلاح والزهد والورع ممن يعينهم المال على طاعة الله عز وجل. وليحـــذر أن يعين أحداً بماله على معصية أو فساد.

وأذكر هنا قصة علي عَجَلٍ توضح حاجة الناس وعوزهم وهم بين أظهرنا، فقد ذكر لي أحد أئمة المساجد عـــن شـــخص مـــن الوافدين فرحه بقدوم شهر رمضان (وكان ضعيف الحـــال كـــبير السن) قال الإمام: فسألته عن سبب هذا الفرح، فقـــال لي: حـــتى نأكل في المساجد ما لا نجده طوال العام في بيوتنا!! وهذا الحـــديث كان قبل عشر سنوات تقريبا ولم يتوسع الناس بعد في التفطير مثل الآن بل كان الإفطار ما تيسر!!

وفي أحوال كثير من الأُسَر ما يُحزن القلب ويُدمع العين، فكم من فقير ومن أرملة ومن يتيم! وكم من شيخ يئن وطفـــل يجـــوع وأرملة لا تجد غذاء ولا كساء!! بل كم من أب وأم في حاجة إلى التوسعة عليهما، وربما تتطلع أنفسهم إلى أمر تكون الدراهم القليلة حاجزاً دونه، وابنهم في أيسر حال وأتمه!!

وقد حدثني أحد المشايخ الفضلاء ودمعته لا تفـــارق مجراهـــا فقال: لحظت يوما، وأنا خارج إلى المسجد قبل أذان الفجر، امرأة كانت واقفة أمام (النفايات) فتأخرت حتى أتبعتها النظر وعرفـــت مسكنها، وفي الغد أرسلت أهل بيتي لمعرفة أمرها، فإذا بها أرملة وأم لأطفال صغار ولا تجد ما يسد جوعهم إلا من بقايا الطعام الموجود

في هذا المكان، فتخرج في جنح الظلام حتى لا يراها أحد.

وهذه المرأة المتعففة لها نصيب من حديث الرسول ﷺ الــذي قال فيه: «**ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على النــاس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان** ». قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال : «**الذي لا يجد من يعينه ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئاً**»(١).

ومن تأمل في أحوال بعض أقاربه وجد أنهم من أهل الزكـــاة ولكنه يغفل عنهم، فكم حولنا من يتيم، وكم في أسرنا من أرملة، وكم في عوائلنا من ينتظره نهاية العام لتسديد أجرة منزله !! وكـــم في مجتمعنا من مطلقة حولها صغار لا يجدون دفترًا جديدًا أو قلمـــا ومسطرة أو ثمن علاج ودواء ! لكن من يبحث عنهم ومن يســـأل عنهم؟! وأين من يتحرى ويدقق؟ بل والله قد ضعف هذا الأمـــر في كثير من الناس.

وتأمل حال الزكاة المفروضة، وهي عبـــادة عظيمـــة. كيـــف تخرج؟! فإنه يخيل إليك أنه يتخلص منها بأي شكل وبدون حرص واهتمام، وإن أردت مثالاً حيا لذلك فانظر كيف هي زكاة الفطر، وهي لا تزيد عن كيس أرز واحد عن أسرة كبيرة، فلا يبحث عن الفقراء، ولا يكلف المزكي نفسه مشقة.

السؤال والبحث!! رحم الله أحدهم، فقد سألته عن إخـــراج زكاة الفطر في مكة المكرمة ولم يكن من سكانها فقال لي: عليـــك

(١) رواه مسلم.

برؤوس الجبال لتجد المستحقين!! فقلت له: غفر الله لك، ومن أين لنا رؤوس الجبال؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وإعطاء السائل فرض كفايـــة إن صدق، ولهذا جاء في الحديث : «**لو صدق ما أفلح من رده**»(١).

وفي صورة مؤثرة لا يفعلها إلا قليل ممـــن وهبـــهم الله خـــيرًا وإخلاصاً. عن عمر بن ثابت قال : لما مات علي بن الحسين بـــن علي فغسلوه فجعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره، فقالوا : مـــا هذا ؟ فقالوا : كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة (٢).

وهذه مولاة لداود الطائي تخدمه فقالت له: لو طبخـــت لـــك دسماً تأكله؟ قال: وددت، فطبخت له دسماً ثم أتت به فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالت: على حالهم، قال: اذهبي بهـــذا إلـــيهم، فقالت: أنت لم تأكل أدما منذ كذا وكذا، قال: إن هذا إذا أكلوه كان عند الله مذخوراً، وإذا أكلته كان في الحش (٣).

عن ميمون بن مهران، أن امرأة ابن عمر عوتبت فيه، فقيل لها: أما تتلطفين بهذا الشيخ! فقالت: فما أصنع به، لا نصنع له طعاماً إلا دعا من يأكل معه، فأرسلت إلى قوم من المساكين كانوا يجلســـون بطريقه إذا خرج من المسجد فأطعمتهم وقالت لهـــم: لا تجلســـوا

(١) حاشية الروض ص ٣٤٤.
(٢) انظر السير ١٣٩/٤.
(٣) تاريخ بغداد ٣٥٣/٨.

بطريقه، ثم جاء إلى بيته فقال: أرسلوا إلى فلان وإلى فلان، وكانت امرأته أرسلت إليهم بطعام وقالت: إن دعاكم فلا تأتوه، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: أردتم أن لا أتعشى الليلة، فلم يتعش تلك الليلة [١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما : اثنان من الشيطان، واثنان في الله تعالى، ثم قرأ هذه الآية: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا**﴾[٢].

يعني يأمركم بالطاعة والصدقة لتنالوا مغفرته وفضله ﴿**وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[٣]. يعني واسع الفضل، عليم بثواب من يتصدق [٤].

قال أحمد بن حنبل عن عباد بن عباد : كان ثقة صالحاً في دينه، بلغني أنه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات أو أربعا فتصدق بوزن نفسه فضة [٥].

وهذا أبو الحسين النوري مكث عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين، ويخرج ليمضي إلى السوق فيتصدق بالرغيفين ويدخل المسجد فلا يزال يركع حتى يجيء وقت سوقه. فإذا جاء الوقت مضى إلى السوق فيظن أنه قد تغذى في بيته، ومن في بيته عندهم أنه قد أخذ معه غداءه، وهو صائم!!.

(١) حلية الأولياء ١/٢٩٨.
(٢) سورة البقرة، الآية:٢٦٨.
(٣) سورة البقرة، الآية:٢٦٨.
(٤) تنبيه الغافلين ص ٢٤٥.
(٥) تذكرة الحفاظ ١/٢١٠.

وكان عامر بن عبد الله بن الزبير يتخير العباد وهم ســـجود، فيأتيهم بالصرة فيها الدنانير والدراهم، فيضعها عند نعالهم بحيـــث يحسون بها ولا يشعرون بمكانه، فقيل له: ما يمنعك أن ترسل بهـــا إليهم؟ فيقول: أكره أن يتمعر وجه أحدهم إذا نظر إلى رســـولي أو لقيني [١].

أيها الحبيب:

أمامنا أهوال وأهوال وفزعات وروعات. ولذا اشترى بعـــض السلف نفسه من الله ثلاث مرات أو أربعاً يتصدق كل مرة بـــوزن نفسه فضة. واشترى عامر بن عبد الله بن الزبير نفسه من الله بديته ست مرات تصدق بها، واشترى حبيب العجمي نفســـه مـــن الله بأربعين ألف درهم تصدق بها [٢].

قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالأسير يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل [٣].

وقال رجل للحسن: ما تقول في رجل آتاه الله فهو يتصدق منه ويصل منه، أيحسب له أن يتعيش فيه (يعني يتنعم)؟ فقال: لا، لـــو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف، ويقوم ذلك ليوم فقره [٤].

---

(١) منهاج القاصدين ص٤١.
(٢) حلية الأولياء ٣/١٦٦.
(٣) جامع العلوم والحكم ص ٢٦٩.
(٤) مكاشفة القلوب ص ١٥٦.

وكان رسول الله ﷺ أجود من الريح المرسلة، ودل سـخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا، وليس الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب عنه، وقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد [(١)].

تـراه إذا مـا جئتـه متـهللاً
كأنـك تعطيـه الـذي أنـت سـائله
ولو لم يكـن في كفـه غـير روحـه
لجـاد بهـا فليتـق الله سـائله
هو البحـر مـن أي النـواحي أتيتـه
فلجته المعـروف والجـود سـاحله [(٢)]

كان مورق العجلي يتجر، فيصيب المال فيفرقه على الفقـراء والمساكين، وكان يقول: لولاهم ما تَجُرْت [(٣)].

نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح، والله لقد حسنت النية في جمعه وفي إنفاقه !! ومن منا اليوم يخطر بباله هذا الأمر؟ بل ومـن يستقبل يومه ليعمل ويحتسب أجر العمل عند الله ثم يحتسب أجـر (أجرة) العمل إنفاقاً وإحساناً؟!

أخي المسلم:

في المال ثلاثة أسئلة عظام يُسأل عنها المرء: من أين اكتسـبه؟ هل هو من حلال؟ ! أم من حلال خالطه حرام؟ أم حرام كلـه؟ ثم

(١) الإحياء ٣٩/١.
(٢) جامع العلوم والحكم ص ٢٢٢.
(٣) الزهد ص ٤٤.

السؤال الثاني : أين وضعه ؟ ! في حلال أم في حرام ؟! ثم الثالث : أين أنفقه؟ ! في طاعة أم معصية؟! وهل هي طاعة زانها الإخلاص أم شابها الرياء؟! وهل...؟! ولو طبقنا تلك الأسئلة على مائة ريال مما نملك لعلمنا أن السؤال شديد وأن الحساب دقيق، ولربما أن هـــذه الأموال تكون سبباً في شقائنا وخسراننا؟!

قال أبو بكر رضي الله عنه: دخلت على أبي مسلم في يوم عيد، فرأيت عليه قميصا مرقعا وبين يديه خروف وهو يأكل منه، فقلت يا أبا مسلم ! ما هذا ؟ فقال: لا تنظر إلى الخروف ولكن انظر إذا سألني ربي: من أين لك هذا؟ فأي جواب أقول وما اعتذاري؟!

وقال ابن المبارك : لأن أردَّ درهما من شبهة أحب إليَّ مـــن أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف. حتى بلغ ستمائة ألف [١].

وذلك طمعاً في قبول العمل وعظم الأجر والمثوبة، فقد قال ﷺ : «**من تصدق بعدل – أي بمقدار – تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيهـــا لصـــاحبها كما يربي أحدكم فلوَّه – أي مهره – حتى تكون مثل الجبل**»[٢].

قال الواقدي: صار إليَّ من السلطان ستمائة ألف درهـــم مـــا وجبت علي زكاة فيها[٣].

وكان دَخْلُ الليث بن سعد في كل سنة ثمانين ألف دينار، وما

(١) صفة الصفوة ١٣٩/٤.
(٢) متفق عليه.
(٣) السير ٤٦٧/٩.

أوجب الله عليه زكاة درهم قط [١].

وذلك بإنفاقها قبل أن يحول عليها الحول.

وفي كلمات صادقة لأصحاب القلوب الحية والنفوس الزكيـــة الذين يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار.

كان الحسن يقول: رحم الله عبداً جعل العيش عيشاً واحـــدا، فأكل كسرة، ولبس خلقاً، ولزق بالأرض، واجتهـــد في العبـــادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، ابتغاء الرحمة حتى يأتيـــه أجله وهو على ذلك [٢].

قالت امرأة أبي حازم له : هذا الشتاء قد هجم علينا ولابد لنا من الطعام والثياب والحطب، فقال لها أبو حازم : من هذا كله بد، ولكن لابد لنا من الموت، ثم البعث، ثم الوقوف بين يدي الله تعالى، ثم الجنة أو النار [٣].

أخي الحبيب : أين نحن عن هؤلاء؟!

عن محمد بن المنكدر عن أم درة – وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها – قالت: إن معاوية بعث إليها بمال في غـــرارتين ثمـــانين ومائة ألف درهم، فدعت بطبق، فجعلت تقسم بين الناس، فلمـــا أمست قالت: يا جارية! هلم فطوري، فجاءها بخبز وزيت، فقالت لها أم درة: ما استطعت فيما اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر

(١) وفيات الأعيان ١٣٠/٤.
(٢) الزهد الكبير للبيهقي ٦٥/٢.
(٣) الإحياء ٢٣٩/٤.

عليه ؟ فقالت: لو كنت ذكرتيني لفعلت [١].

وكان سعد بن عبادة يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصفة يعشيهم[٢]. وإطعام الطعام قلَّ في هذا الزمان ونَدُر حتى أنك لا ترى لذلك أثرا حتى بين الأحباب والأصحاب والجـــيران. أمـــا الفقراء والمساكين فلم نسمع أن أحداً يصنع لهم الطعام أو يهـــدي لهم غذاء أو عشاء.

* عن ميمون بن مهران قال: أتت ابن عمر اثنان وعشـــرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها [٣].

وقال بكر الزجاج لمعروف الكرخي في علته : أوصِ فقال: إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عريانا، كما دخلت إليها عريانا [٤].

وقد مات الواقدي وهو على القضاء، وليس له كفن، فبعـــث المأمون بأكفانه[٥].

وقال عبد الرحمن بن عوف: قتل مصعب بن عمير وهو خـــير مني، كُفِّن في بردة، إن غطيت رأسه بدت رجـــلاه، وإن غطيـــت رجلاه بدا رأسه.

---

(١) الإحياء ٢٦٢/٣.
(٢) السير ٢١٦/١.
(٣) صفة الصفوة ٥٧١/١.
(٤) وفيات الأعيان ٢٣٢/٥.
(٥) السير ص ٤٦٧.

أخي المسلم:

ما بال دينك ترضى أن تدنسه
وثوبك الدهر مغسول من الدنس

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: درهـــم ينفقـــه أحدكم في صحته وشحه أفضل من مائة يوصي بها عند موته [١].

ولهذا كان الأخيار من هذه الأمة ينفقون وهم في صحة وعافية قبل أن تغرغر الروح وتشرق شمس الآخرة.

عن أبي جعفر بن علي بن الحسين أن أباه قاسم الله تعالى مالـــه مرتين، وقال: إن الله يحب المذنب التواب[٢].

ومن أدب الصدقة والإخلاص فيها ورجاء ما عند الله نصيحة عون بن عبد الله حيث قال: إذا أعطيت المسكين شـــيئا، فقـــال : بارك الله فيك، فقل أنت: بارك الله فيـــك، حـــتى تخلـــص لـــك صدقتك[٣].

لأنه يريد أن تكون خالصة لله عز وجل، وليس فيها حظ مـــن حظوظ النفس، وقد روي مثل ذلك عن عائشة وغيرها.

فالأمر كما قال الربيع بن خثيم: كل ما لا يراد به وجـــه الله يضمحل [٤].

---

(١) تنبيه الغافلين ص ٢٤٥.
(٢) حلية الأولياء ٣/١٤٠.
(٣) حلية الأولياء ٤/٢٥٣.
(٤) السير ٤/٢٥٩.

قال الحسن: المؤمن أحسن الناس عملاً وأشدهم من الله خوفاً، لو أنفق في سبيل الله مثل أحد ذهبا ما أمن حتى يعاين [١].

جاء سائل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال لابنـــه: أعطـــه ديناراً، فلما انصرف قال ابنه : تقبل الله منك يا أبتاه، فقال: لـــو علمت أن الله يتقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إلى من الموت، أتدري ممن يتقبل ؟ إنما يتقبل الله من المتقين.

أيها المسلم:

أنفق ولا تخش إقلالاً فقد قسمت
على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية
ولا يضر مع الإقبال إنفاق[٢]

كان الليث بن سعد يستغل عشرين ألف دينار كل سنة وقال : ما وجبت علي زكاة قط [٣].

وكان الربيع بن خثيم إذا جاءه السائل قال: أطعموه الســـكر، فإن الربيع يحب السكر [٤].

أخي المسلم:

تأمل ماذا ينفقون؟! إنه أحب الموجودات إلـــيهم، وأغلاهـــا

(١) الحسن البصري ص ٢٩.
(٢) مكاشفة القلوب ص ١٢٣.
(٣) تاريخ بغداد ١٣/٨٠.
(٤) الزهد لابن السري ١/٣٤٤.

عندهم، وأنفسها في قلوبهم، أما نحن فالمنفق منا لا تطيب نفسه إلا بالنطيحة والمتردية، أما كرائم أموالنا فنضن بها على الآخرة، وننفقها في شراء الكماليات وعلى الفرش والأحذية. وتجد لـــدى الـــبعض رجالاً ونساء ما يزيد عن عشرين أو خمسين بل مائـــة حـــذاء !! وكأنه جمعها ليسير بها آلاف الأميال!! ومع هذا كله لا يمر شهر أو أكثر إلا وقد اشترى حذاء جديداً!! وعن العشـــرين والخمســـين والمائة سوف يُسأل. ومن السنن المهجورة الانتعال حيناً وتركه حيناً آخر.

وقد قال رسول الله ﷺ : «**ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري به عورته، وجلف الخبـــز، والماء**»(١).

وقال مالك بن دينار: إني لأغبط الرجل يكون عيشه كفافـــاً فيقنع به، فقال محمد بن واسع: أغبط والله عندي مـــن ذلـــك أن يصبح جائعاً ويمسي خائفا وهو عن الله عز وجل راض (٢).

أيها المنفق:

عشر خصال تبلغ العبد منزلة الأخيار، وينال بها الدرجات:

أولها: كثرة الصدقة.

والثاني: كثرة تلاوة القرآن.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) صفة الصفوة ٣/٢٧٠.

والثالث: الجلوس مع من يذكِّره بالآخرة، ويزهده في الدنيا.

والرابع: صلة الرحم.

والخامس: عيادة المريض.

والسادس: قلة مخالطة الأغنياء الذين شـــغلهم غنـــاهم عـــن الآخرة.

والسابع: كثرة التفكر في ما هو صائر إليه غداً.

والثامن: قصر الأمل ، وكثرة ذكر الموت.

والتاسع: لزوم الصمت، وقلة الكلام.

والعاشر: التواضع، ولبس الدون، وحب الفقـــراء والمخالطـــة معهم، وقرب اليتامى والمساكين ومسح رؤوسهم [(١)].

ويقال : سبع خصال تربي الصدقة وتعظمها:

أولها: إخراجها من حلال، لأن الله تعالى قال: ﴿**أَنْفِقُوا مِـــنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**﴾[(٢)].

والثاني : إعطاؤها من جهد مقلٍّ، يعني يعطي من مال قليل.

والثالث: تعجيلها مخافة الفوت.

والرابع: تصفيتها مخافة البخل. يعني يعطيها من أحسن أموالـــه ولا يعطيها من الرديء، لأن الله تعالى قال: ﴿**وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيـــثَ**

---

(١) تنبيه الغافلين ص ٢٥٢.

(٢) سورة البقرة، الآية:٢٦٧.

مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1]، **﴿وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ﴾**[2]. يعني لا تأخذونه، يعني الرديء إذا كان على الآخر لكم قرضا **﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾**[3]. أي تسامحوا وتساهلوا فيه.

و**الخامس**: يعطيها في السر مخافة الرياء.

و**السادس**: بُعْد المن عنها مخافة إبطال الأجر.

و**السابع**: كفُّ الأذى عن صاحبها مخافة الإثم، لأن الله تعالى قال : **﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾**[4].

روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها كانت جالسة ذات يوم إذ جاءها امرأة سترت يدها في كمها، فقالت لها عائشة : ما لك لا تخرجين يدك من كمك؟ قالت: لا تسأليني يا أم المؤمنين. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها:

لابد لك أن تخبريني. فقالت : يا أم المؤمنين! إنه كان لي أبوان، فكان أبي يحب الصدقة وأما أمي فكانت تبغض الصدقة، فلم أرها تصدقت بشيء إلا قطعة شحم وثوباً خلقاً، فلما ماتا رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، ورأيت أمي قائمة بين الخلق، والخلقة موضوعة على عورتها، ورأيت الشحمة بيدها وهي تلحسها،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٦٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤، تنبيه الغافلين ص ٢٥٣.

وتنادي: واعطشاه. ورأيت أبي على شفير الحوض وهو يسقى الماء، و لم يكن عند أبي صدقة أحب إليه من سقية الماء، فأخذت قدحا من ماء فسقيت أمي، فنودي من فوق: ألا من سقاها شـــلت يـــده، فاستيقظت وقد شلت يدي (١).

ولنا في رسول الله أسوة حسنة في فعله وقوله لمن كان يرجو الله والدار الآخرة.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ ببردة منسوجة فقالت: نسجتها بيدي لأكســوكها، فأخــذها النبي ﷺ محتاجا إليها، فخرج إلينا وإنهـــا لإزاره، فقـــال فـــلان : اكسنيها، ما أحسنها! فقال: «**نعم**» فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم : ما أحسنت. لبسها النبي ﷺ محتاجا إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد سائلاً، فقـــال: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني. قـــال ســـهل: فكانت كفنه (٢).

وللحث على بذل اللباس وستر عـــورات المســـلمين وســـد حاجتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما : سمعت رســـول الله ﷺ يقول : «**من كسا مسلما ثوبا لم يزل في ستر الله ما دام عليه منه خيط أو سلك**»(٣).

---

(١) تنبيه الغافلين ص ٢١٥.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه الترمذي والحاكم.

ومن كان في ستر الله فهو في ظل عظيم وخير كـثير، فـإن للصدقة وفعل المعروف تأثيرا عجيبا في شرح الصدور، ودفع البلاء، وتوالي الخير، وتتابع النعم.

يقال إن الحسن مر به نَخَّاس ومعه جارية، فقـال للنخـاس: أترضى في ثمنها الدرهم والدرهمين؟ قال: لا، قال: فهب فـإن الله عز وجل رضي في الحور العين بالفلس واللقمة [١].

أيها الحبيب:

تذكر قول الإمام أحمد وأنت تسير خطواتك المحدودة في هـذه الدنيا، فإن لهذه البداية نهاية، ولهذه الرحلة وقفة، وللطريق مهمـا طال منايا تلوح وسهام تصيب.

قال الإمام أحمد بن حنبل: إنما هو طعام دون طعـام، ولبـاس دون لباس، وإنها أيام قلائل [٢].

وقال الحسن: أدركت أقواما لو أنفق أحدهم ملء الأرض مـا أمن لعظم الذنب في نفسه [٣].

نعم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، ولذا وصف الله عباده المتقين الأبرار بقوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾[٤] وخصهم بالتجرد له في هذه الأعمـال

---

(١) الإحياء ١/٢٦٨.
(٢) السير ١١/٢١٦.
(٣) جامع العلوم والحكم ص ٢١١.
(٤) سورة الإنسان، الآية: ٨.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[١].

وبطاعة الله وامتثال أوامره وبذل الخير أنزلهم خير مترل وأقامهم في أحسن مقام: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[٢].

كان أهل المدينة عيالا على عبد الرحمن بن عوف : ثلث يقرضهم ماله، وثلث يقضي دينهم، ويصل ثلثاً.

إن الكـريم ليخفـي عنـك عسـرته
حـتى تـراه غنيـا وهـو مجهـود
وللبخيـل علـى أموالـه علـل
زرق العيـون عليهـا أوجـه سـود
إذا تكرهـت أن تعطـي القليـل ولا
تكـون ذا سعـة لم يظهـر الجـود
بـث النـوال ولا يمنعـك قلتـه
فكل ما سـد فقـراً فهـو محمـود [٣]

قال عبد الملك بن مروان لأسماء بنت خارجة: بلغني عنك خصال فحدثيني بها؟ فقالت: هي من غيري أحسن منها مني، فقال: عزمت عليك إلا حدثتني بها. فقالت: يا أمير المؤمنين! ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط، ولا صنعت طعاماً قط فدعوت عليه

(١) سورة الإنسان، الآية : ٩.
(٢) سورة الإنسان، الآية : ١١.
(٣) تاريخ بغداد ٤٩١/١٢.

قوماً إلا كانوا أمن علي مني عليهم، ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئاً فاستكثرت شيئاً أعطيته إياه [(١)].

ومن أدب الصدقة الرفيع التلطف مع السائل، وإكرامه بالكلمة الطيبة والفعل الحسن، فقد كان علي بن الحسن إذا ناول الصـــدقة السائل قبَّله ثم ناوله [(٢)].

جاء رجل من أهل الشام فقال: دلوني على صفوان بن سليم، فإني رأيته دخل الجنة. فقلت: بأي شيء؟ قال: بقمـــيص كســـاه إنساناً.

قال بعضهم: سألت صفوان عن قصة القميص ؟ فقال:

خرجت من المسجد في ليلة باردة فإذا رجل عريان، فنزعـــت قميصي فكسوته [(٣)].

ولو تفقدنا منازلنا كل ستة أشهر لوجدنا من الملابس الـــتي لا نحتاج إليها كثيرا جداً، فلماذا نتأخر في دفعها للفقراء والمحتـــاجين خاصة أننا لا نتوقف عن الشراء طوال العام؟! ووالله يخشى علينا من العقوبة في هذا الأمر، وربما يبتلينا الله عز وجل فلا نجد ما نستر به عوراتنا، فإن البعض وصل لديهم السرف والتبذير في ذلـــك حـــد الخيال.

قال سالم بن أبي الجعد : خرجت امرأة ومعها صبي لها، فجـــاء

(١) الإحياء ٣/٢٦٥.
(٢) حلية الأولياء ٣/١٣٧.
(٣) صفة الصفوة ٢/١٥٤.

ذئب فاختلس منها الصبي، فخرجت في أثره، وكان معها رغيف، فعرض لها سائل فأطعمته، فجاء الذئب بصبيها حـــتى رده عليهـــا، فهتف هاتف : هذه لقمة بلقمة [١].

وكان علي بن الحسن يحمل الخبز بالليل علـــى ظهـــره يتبـــع المساكين في الظلمة ويقول: إن الصدقة في الليل تطفئ غضب الرب [٢].

واتفق العلماء على أن إخفاء صدقة التطوع أفضل وخير مـــن إظهارها، لأن ذلك أبعد عن الرياء، وأقرب إلى الإخلاص، وفيه بعد عما تؤثره النفس من الصدقة، وفائدة ترجع إلى الفقير الآخذ وهي أنه إن أعطي في السر زال عنه الذل والانكسار، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية [٣].

والإخلاص لله هو حقيقة الدين ومفتاح دعوة الرســـل، قـــال رسول الله ﷺ : «**من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائـــي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك**»[٤].

والمخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

قال إبراهيم بن بشار: مضيت مع إبراهيم بن آدم في مدينة يقال

---

(١) تنبيه الغافلين ص ٥٢١.
(٢) السير ٣٩٣/٤.
(٣) الإحكام لشرح أصول الأحكام لابن قاسم ٢٠٣/٢.
(٤) رواه أحمد.

لها طرابلس ومعي رغيفان ما لنا شيء غيرهما، وإذا ســائل يســأل فقال لي : ادفع إليه ما معك فلبثت، فقال : ما لك؟ أعطه، فأعطيته وأنا متعجب من فعله، فقال: يا أبا إسحاق! إنك تلقى غدا مــا لم تلقه قط، واعلم أنك تلقى ما أسلفت ولا تلقى ما خلفت، فمهــد لنفسك فإنك لا تدري متى يفاجئك أمر ربك، قال : فأبكــاني في كلامه، وهون علي الدنيا، قال: فلما نظر إليَّ بكى وقال: هكــذا كن [1].

وأمر الطعام الذي توسعنا فيه وأصبح همنا، نأكل ثلاث وجبات كاملة كل يوم، فيها كثير الأصناف والأنواع، ثم ما بــين تلــك الوجبات نأكل ونشرب وكأننا حيوان مجتر، طول نهارنا لا نتوقف عن المضغ والأكل. لما نزلت ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِــيمِ**﴾[2] قالوا : يا رسول الله! أي نعيم نسأل عنه؟ وإنما هما الأسودان: الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا، والعدو حاضر، فعن أي نعيم نســأل؟ قال : «**أما إن ذلك سيكون**»[3].

ورسول الله ﷺ نبي هذه الأمة كما قالت عائشة رضي الله عنها «ما شبع منذ قدم المدينة من خبز ثلاث ليال تباعاً حتى قُبض»[4].

سئل سهل التستري: الرجل يأكل في اليوم أكلة؟ قال: أكــل الصديقين، قيل له: فأكلتين ؟ قال: أكل المؤمنين، قيل له فــثلاث

(١) الزهد للبيهقي ٢٥١، صفة الصفوة ١٥٣/٤.
(٢)سورة التكاثر، الآية:٨.
(٣) فتح القدير ٦٠٧/٥.
(٤) رواه البخاري ومسلم.

أكلات ؟ فقال: قل لأهله يبنوا له معلفا [١].

وقال الحسن : أدركت والذي نفسي بيده أقواماً ما أمر أحدهم أهله بصنعة طعام قط، فإن قرب إليه شيء أكله وإلا ســكت، لا يبالي حاراً كان أو بارداً، وما افترش أحدهم بينه وبين الأرض فراشا وإنما يتوسد يده فيهجع من الليل، ثم يقوم فيبيت ليلته قائما راكعــاً ساجداً، يرغب إلى الله في فك رقبته [٢].

وتأمل أيها الأخ الحبيب بعين التفكر والاعتبار في ما قاله بلال بن سعد: رُبَّ مسرور مغبون يأكل ويشرب ويضحك، وقد حق له في كتاب الله عز وجل أنه من وقود النار [٣].

وذكر جرير بن عبد الحميد أن سليمان التيمي لم تُرَ ساعة قط عليه إلا تصدق بشيء، فإن لم يكن شيء صلى ركعتين [٤].

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رســول الله ﷺ يقول: «**كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس**» قــال يزيد : فكان أبو الخير مرثد لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو بكعكة أو بصلة [٥].

الله أكبر.. هذا ما يجدون.. وما وجدوا تصدقوا به وأنفقــوه،

---

(١) الفوائد ص ٢٣٢.
(٢) حلية الأولياء ٦/٢٧٠.
(٣) صفة الصفوة ٤/٢١٨.
(٤) السير ٦/١٩٩.
(٥) رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

ولقد ذهبوا وذهب كل ذاك وبقي أجر الصدقة وثواب الإنفاق.

وقد يخطر ببال الكثير : كيف أتصدق كل يوم في هذه الأيام؟! والحل سهل ميسور، فبالإمكان جعل حصالة أو صندوق في صـــالة المترل، ثم ضع فيها أنت وأهل بيتك كل يوم ما تجود به نفوســـكم قل أو كثر، وفي نهاية كل شهر ادفع ما بها إلى أوجه الخير ومناحي البر. وبعض الأسر وضعت مثل ذلك في مجلس الرجال وفي مجلـــس النساء، بل إنهم عودوا أبناءهم الصغار حث الضيوف على التبرع.

قال سليم بن منصور بن عمار: حدثنا أبي قال : دخلت علـــى الليث خلوة، فأخرج من تحته كيساً فيه ألف دينار، وقال : يا أبـــا السرى ! لا تُعلم بها ابني، فتهون عليه.

وأعرف من كان رحمه الله يذهب بالصدقة ضحى أيام رمضان معللا بأن ذلك أنسب الأوقات وأبعد عن العيون، فالكل نـــائم في الدار، وكذلك الجيران وأهل الطريق.

سأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنـــهم عـــن المـــروءة والنجدة والكرم فقال: أما المروءة فحفظ الرجل دينه، وحذر نفسه، وحسن قيامه بضيفه، وحسن المنازعة، والإقدام في الكراهية. وأمـــا النجدة فالذب عن الجار، والصبر في المواطن، وأما الكرم فـــالتبرع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المحل، والرأفة بالسائل مع بذل النائل.

وعندما رفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعـــة قال له: حاجتك مقضية. فقيل له : يا ابن رسول الله ! لو نظرت في

رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك. فقال: يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعته.

وقال ابن السماك : عجبت لمن يشتري المماليـــك بمالـــه ولا يشتري الأحرار بمعروفه.

وأتى رجل صديقاً له فدق عليه الباب فقال: ما جاء بك؟ قال : عليَّ أربعمائة درهم دَيْن، فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليـــه وعاد يبكي، فقالت امرأته: لم أعطيته إذ شق عليك ؟ فقال: إنمـــا أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتي [1].

وسئل بعض الأعراب : من سيدكم؟ فقال: من احتمل شتمنا، وأعطى سائلنا، وأغضى عن جاهلنا [2].

وكان للزبير بن العوام ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكـــان يقسمه كل ليلة ثم يقوم إلى مترله وليس معه منه شيء .

هب الدنيا تساق إليك عفوا
أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل فيءٍ
أظلَّك ثم آذن بالزوال

قال رجل: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلـــم يكن معه ما يعطيه فبكى، فقلت: يا أبا محمد! ما الـــذي أبكـــاك؟

(١) الإحياء ٣/٩٧.
(٢) الإحياء ٣/٢٦١.

قال: أية مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه؟[١].

رحمهم الله ورحم زماناً أظلهم وأرضا أقلتهم، ورزقنا من طيب سجاياهم وكريم خصالهم.

أخي الحبيب:

من دقيق نعم الله على العبد، التي لا يكاد يفطن لها، أنه يغلق عليه بابه، فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئاً من القت، ليعرِّفه نعمته عليه [٢].

ومن عظيم نعم الله على العبد أن يسوق إليه الأموال، ثم

يدفع إليه من يعطيه منها ويسأل عن مستحقها ليوصلها، ثم يتقبلها منه وتكون له سترا عن النار. إنها نعم متتالية.

جاءت امرأة فسألت حسان بن أبي سنان فقال لشريكه: هكذا، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى، فذهب شريكه يزن لها درهمين، فوزن لها مائتين فقالوا: يا أبا عبد الله ! كنت ترضي بهذا كذا وكذا من سائل. فقال : إني ذهبت في شيء لم تذهبوا فيه، إني رأيت بها بقية من الشباب وخشيت أن تحملها الحاجة على بعض ما أكره [٣] لم يكن عطاؤهم لسد الجوع وملء البطن فحسب، بل حتى الوصول إلى الكفاف والاستغناء، لكي لا تحملها الفاقة إلى فساد عرضها ودينها.

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٢٩٣.

(٢) عدة الصابرين ص ١٧٤.

(٣) صفة الصفوة ٣/٣٣٨.

قال علي بن عيسى الوزير: كسبت سبعمائة ألـف دينـار. أخرجت منها في وجوه البر ستمائة ألف وثمانين ألفاً [١].

والسؤال أيها القارئ : لو كانت في يدك؟ كم ستخرج وكم ستُبقِي؟!

عندما سئل أبو صفوان الرُّعيني : ما هي الدنيا التي ذمها الله في القرآن والتي ينبغي للعاقل أن يتجنبها ؟ قال : كل ما أحببـت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أحببت منها تريـد بـه الآخرة فليس منها [٢].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف الدنيا: حلالها حساب، وحرامها النار.

وقيل لسفيان بن عيينة: ما السخاء ؟ قـال: السـخاء الـبر بالإخوان والجود بالمال.

قال : ورث أبي خمسين ألف درهم فبعث بها صُرراً إلى إخوانه. وقال : قد كنت أسأل الله تعالى لإخواني الجنة في صلاتي أفأبخـل عليهم بالمال؟

قال يحيى بن معاذ وكأنه يخاطب الكثير في عصرنا: مسكين ابن آدم، لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة [٣].

---

(١) السير ١٥/٣٠٠.
(٢) تزكية النفوس ص ١٢٨.
(٣) تاريخ بغداد ١٠/٣٦٧.

وقال الحسن : بذل المجهود منتهى الجود.

وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس إليك؟ قال: من كثرت أياديه عندي، قيل : فإن لم يكن، قال: من كثرت أيادي عنده.

وقال عبد العزيز بن مروان: إذا الرجل أمكنني من نفسه حـــتى أضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده.

وقال المهدي لشبيب بن شبة : كيف رأيت النـــاس في داري؟ فقال: يا أمير المؤمنين ! إن الرجل منهم ليـــدخل راجيـــا ويخـــرج راضيا.

وتمثَّل متمثِّل عند عبد الله بن جعفر فقال:

إن الضـــــيعة لا تكـــــون ضـــــيعة
حـــتى يصـــاب بهـــا طريـــق المصـــنع
فإذا اصطنعت ضـــيعة فاعمـــد بهـــا
لله أو لـــــــذوي القرابـــــــة أو دع

فقال عبد الله بن جعفر: إن هذين البيتين ليبخلان الناس، ولكن أمطر المعروف مطراً، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلا، وإن أصاب اللئام كنت له أهلا[1].

أما وصاياهم ونصحهم للأمة فلا حد له، وهـــم إلى الآخـــرة ينظرون ولتلك الأيام يستعجلون.

قال رجل لسفيان الثوري: أوصني؟ قال: اعمل للدنيا بقـــدر

(١) السير ١٤٨/٨.

بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها، والسلام [١].

ولو عملنا للدنيا بقدر بقائنا فيها، وللآخرة بقدر بقائنا فيهـــا، لتغيرت الحال، وتبدلت الأعمال، ولكن أين من يجاهد نفسه ويعمل لدار الخلود ؟!

قال قتيبة: كان الليث بن سعد يستغل عشرين ألف دينـــار في كل سنة، وقال : ما وجبت عليَّ زكاة قط [٢].

فرضت على زكاة ما ملكت يدي
وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا
فإذا ملكت فجد، فإن لم تستطع
فاجهد بوسعك كله أن تنفعا

قال شفيق بن إبراهيم : بينما نحن ذات يوم عند إبراهيم بـــن أدهم إذ مر رجل فقال إبراهيم : أليس هذا فلان؟

فقيل : نعم. فقال لرجل : أدركه فقل له : قال لك إبـــراهيم: لِمَ لم تسلم؟ فقال له. فقال: والله إن امرأتي وضعت وليس عنـــدي شيء فخرجت شبه المجنون. قال: فرجعت إلى إبراهيم، فقلت لـــه فقال: إنا لله، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به هـــذا الأمـــر ؟ وقال : يا فلان ! إيت صاحب البستان فاستسلف منه دينـــارين،

(١) حلية الأولياء ٥٦/٧.
(٢) طبقات الحنابلة ٢٠٤/١.

فادخل السوق فاشتر له ما يصلحه بدينار، وادفع الدينار والآخـــر إليه. فدخلت السوق فأوقرت بدينار من كل شيء، وتوجهت إليه فدققت الباب. فقالت امرأته : من هذا ؟ قلت : أنا — أردت فلاناً. قالت : ليس هو هاهنا. قلت : فمري بفتح الباب وتنحي، قـــال: ففتحت الباب، فأدخلنا ما على البعير وألقيتـــه في صـــحن الـــدار وناولتها الدينار. فقالت : على يدي، من بعث هذا ؟ فقلت: قولي: على يد أخيك إبراهيم بن أدهم. فقالت : اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم [١].

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما : من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخياً، وإنما السخي من يبتدئ بحقوق الله تعالى في أهل طاعته، ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كـــان يقينـــه بثواب الله تعالى تاماً.

وقيل للحسن : ما السخاء؟ فقال : أن تجود بمالك في الله عـــز وجل. قيل : فما الحزم؟ قال : أن تمنه مالـــك فيـــه، قيـــل: فمـــا الإسراف ؟ قال: الإنفاق لحب الرئاسة.

ومن آداب الطعام التي غفلنا عنها وهجرناها دعوة الضـــعفاء والمساكين والأيتام لمشاركتنا نعم الله عز وجل وخيراته، فقد كـــان عبد الله بن عمر لا يأكل طعاماً إلا وعلى خوانه يتيم.

---

(١) صفة الصفوة ١٥٥/٤.
ليس المقصود هنا وصفه جل وعلا بالنسيان — تعالى عن ذلك — ولكن المقصود : أعظم له الأجر لفعله هذا اليوم.

وأيتام الأمة الإسلامية تتخطفهم الحملات الصليبية، وتخترقهم جيوش الكفر، فأين نحن من إعانتهم وكفالتهم وتعليمهم؟! بل أين أنت – أخي المسلم – عن أيتام أسرتك ممن هم في أمس الحاجة إلى الرعاية وربما أنهم من أهل الزكاة وأنت عنهم غافل؟!

وليبشر كافل اليتيم – وهو القائم على أموره – بمرافقة الرسول ﷺ حيث بشره بذلك فقال عليه السلام : «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما [١].

عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا، وكان أحب إليه بير حاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس : فلما نزلت ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[٢] قال أبو طلحة : يا رسول الله، إن الله يقول: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، اللهم إن أحب أموالي إليَّ بير حاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وأدخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ «**بخ، ذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين**»، فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله، قال: فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.

أخي المسلم:

يفني البخيل بجمع المال مدته

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

وللحوادث والأيام ما يـــدعُ

كدودة القز ما تبنيه يهـــدمها

وغيرها بالذي تبنيـــه ينتفـــع

عن بيان المصري قال: كنت في مكة قاعدا، وشاب بين يدي، فجاءه إنسان وحمل إليه كيسا فيه دراهم فوضعه بين يديه، فقال : لا حاجة لي فيه، فقال : فَرِّقْهُ على المساكين، ففرقه، فلمـــا كـــان العشاء رأيته في الوادي يطلب شيئاً لنفسه، فقلت: لو تركت شـــيئاً مما كان معك؟ فقال: لم أعلم أني أعيش إلى هذا الوقت.

سأل أعرابي سعيد بن العاص فأمر له بخمسمائة، فقال الخادم : خمسمائة درهم أو دينار؟ فقال : إنما أمرتك بخمسمائة درهم، وإذ قد جاش في نفسك أنها دنانير، فادفع إليه خمسمائة دينـــار، فلمـــا قبضها الأعرابي جلس يبكي، فقال له: مالك؟ ألم تقبض نوالـــك؟ قال : بلى والله، ولكن أبكي على الأرض كيف تأكل مثلك [١].

وبعث محمد بن المنكدر إلى صفوان بن سليم أربعين دينارا، ثم قال له لبنيه : يا بني ! ما ظنكم برجل فرغ صفوان لعبادة ربه عـــز وجل [٢]. أي كفاه مؤنة البحث عن الرزق وأعانه علـــى أمـــور الدنيا.

أما من حسب الدنيا مالا لا ينفذ ونعيما لا يزول فإليه إحدى تلك العبر من بين مئات يعرفها وتعرفها أنت وأنا.

(١) البداية والنهاية ٩٣/٨.

(٢) صفة الصفوة ١٤٢/٢.

كان فخر الدولة علي بن ركن (من ملوك بني بويه) يقـول: جمعت لولدي ما يكفيهم ويكفي عسكرهم خمس عشـرة سـنة، وتوفيَّ في قلعة بالري، وكانت مفاتيح خزائها مع ولده، ولم يحضر، فلم يوجد له كفن، فابتيع من قيم الجامع الذي تحت القلعة ثـوب خلف فيه، واختلف الجند فاشتغلوا عنه حتى أراح، فلـم يمكنـهم القرب منه، فشد بالحبال، وجر على درج القلعة من بعـد حـتى تقطع، وكان قد ترك ألفي ألف دينار، وثمانمائة وخمسة وستين ألفا، وكان في خزائنه من الجوهر والياقوت واللؤلؤ والـبلخش والمـاش أربعة عشر ألف وخمسمائة قطعة قيمتها ألف ألف دينـار.. ومـن أواني الفضة ما وزنه آلاف ألف، ومن الأثاث ثلاثة آلاف حمـل، ومن السلاح ألف حمل، ومن الفرش ألفان وخمسمائة حمل [1].

أما الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز فقد قال له مسلمة بـن عبد الملك : يا أمير المؤمنين، إنك أفرغت أفواه ولدك من هذا المال، وتركتهم عيلة لا شيء لهم، فقال عمر بن عبد العزيـز : أبـالفقر تخوفني يا مسلمة؟ أما قولك إني أفرغت أفواه ولدي من هذا المـال فوالله إني ما منعتهم حقا هو لهم وأن بني أحد رجلين : إما رجـل يتقي الله فسيجعل الله له رزقاً، وإما رجل مكب على المعاصي فإني لم أكن لأقويه على معصية الله. وعاش أبنـاء عمـر رحمـه الله لم يحتاجوا إلى أحد ولا سألوا من بعده.

وحال الأخيار لا يريدون علوًا في الأرض، يرون هذه الـدنيا

---

(١) شذرات الذهب ١٢٤/٣.

خطوات مضى أكثرها، يساهرون لذلك المسير ليلاً بالعبادة مشرقاً، ونهارا بالطاعة مزهراً.

عن علي بن زيد قال: حج الحسن خمس عشرة حجة ماشـــياً، وإن النجائب لتقاد بين يديه، وخرَّج من ماله لله مرتين، وقاسم الله عز وجل ماله ثلاث مرات، حتى أنه كان ليعطي نعلا ويمسك نعلا.

عن ميمون بن مهران أن رجلا من بني عبـــد الله بـــن عمـــر استكساه إزارا وقال: قد تخرق إزاري، فقال: ارقع إزارك ثم البسه، فكره الفتى ذلك فقال له عبد الله بن عمر : ويحـــك، اتـــق الله ولا تكن من القوم الذي يجعلون ما رزقهم الله عز وجـــل في بطـــونهم وعلى ظهورهم [(١)].

ورؤي على سلمان الفارسي جبة من صوف فقيل لـــه: لـــو لبست ألين من هذا ؟ قال: إنما أنا عبد، ألبس كما يلبس العبد، فإذا أعتقت لبست ثياباً لا تبلي حواشيها[(٢)].

أولئك قوم قال عنهم الحسن: والله لقد أدركت أقواماً ما طُويَ لأحدهم في بيته ثوب قط، ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط، ومـــا جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط[(٣)].

ومنهم طلحة بن عبيد الله الذي باع أرضا لـــه مـــن عثمـــان بسبعمائة ألف، فحملها إليه، فلما جاء بها قال : إن رجلا تبيـــت

(١) صفة الصفوة ١/٥٧٥.
(٢) التواضع والخمول ص١٧١.
(٣) حلية الأولياء ٢/١٤٦.

عنده في بيته فلا يدري ما يطرقه من أمر الله لضرير بـــالله، فبـــات ورسله تختلف بها في سكك المدينة، حتى أسحر وما عنـــده منـــها درهم [١].

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة
فليس ينقصها التبذير والسرفُ
وإن تولت فأحرى أن تجود بها
فالحمدُ منها إذا ما أدبرت خلفُ [٢]

اجتمع عند أبي الحسن الأنطاكي نيف وثلاثون نفسا – وكانوا في قرية بقرب الري – ولهم أرغفة معـــدودة لم تُشْـــبع جمـــيعهم، فكسروا الرغفان، وأطفؤوا السراج، وجلسوا للطعام، فلما رُفع فإذا الطعام بحاله و لم يأكل أحد منه شيئا إيثارا لصاحبه على نفسه [٣].

وقال الربيع: أخذ رجل بركاب الشافعي، فقـــال لي : أعطـــه أربعة دنانير واعذرني عنده [٤].

أما حكيم بن حزام فقد كان يحزن على اليوم الذي لا يجد فيه محتاجاً ليقضي له حاجته حيث قال : ما أصبحت ولـــيس ببـــابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التي أســـأل الله الأجـــر عليها.

---

(١) صفة الصفوة ٣٤٠/١.
(٢) الإحياء ٢٦١/٣.
(٣) الإحياء ٢٧٣/٣.
(٤) السير ٢٧٣/١٠.

وقضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه فجاء يكافئه بهدية. فقال : ما هذا؟ قال : لما أسديته إليَّ، فقال : خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها، فتوضأ للصلاة، وكبر عليه أربع تكبيرات، وعده من الموتى [(١)].

وعلى هذا القياس في أيامنا هذه فالكثير إلى الأموات أقرب.

وذُكر أن مالك بن دينار رحمه الله تعالى كان جالسا ذات يوم، فجاء سائل وسأله شيئاً، وكانت عنده سلة تمر، فقال لامرأته : ائتيني بها، فأخذها مالك فأعطى نصفها إلى السائل، ورد نصفها إلى امرأته، فقالت له امرأته : مثلك يسمى زاهدا؟! هل رأيت أحدا يبعث إلى الملك هدية مكسرة ؟ فدعا مالك بالسائل وأعطاه البقية، ثم أقبل على امرأته فقال لها : يا هذه اجتهدي ثم اجتهدي، فإن الله تعالى قال: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**﴾[(٢)]. فيقال : من أين هذه الشدة؟ قال: إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين. اعلمي أيتها المرأة قد طرحنا من عنقنا نصفها بالإيمان، فينبغي أن نطرح النصف الآخر بالصدقة [(٣)].

ومن أثر الصدقة العاجل في الدنيا ما نراه في هذه الواقعة التي جرت على يدي عبد الله بن جعفر حين خرج إلى ضيعة له، فترل

---

(١) الإحياء ١٥٩/٢.
(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٣٠-٣٢.
(٣) تنبيه الغافلين ص ٢٥٢.

على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه، إذ أتى الغـــلام بقوتـــه، فدخل الحائط كب ودنا من الغلام، فرمى إليه الغلام بقرص فأكله، ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله، وعبد الله ينظر إليه، فقال : يـــا غلام! كم قوتك كل يوم ؟! قال : ما رأيت! قال : فلم آثرت بـــه هذا الكلب؟ قال : ما هي بأرض كلاب، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع، قال : فما أنت صانع اليـــوم ؟ قال : أطوي يومي هذا، فقال عبد الله بن جعفر : أُلام على السخاء ! إن هذا الغلام لأسخى مني. فاشترى الحائط والغلام وما فيه مـــن الآلات فعتق الغلام ووهبه منه [١].

والله عز وجل جواد كريم يعطي الجزيل على العمل القليـــل، حتى وإن كن في الدواب والبهائم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينمـــا رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فـــترل فيهـــا فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فترل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه، حتى رقى فســـقى الكلب، فشكر الله له فغفر له**» قالوا: يا رسول الله ! إن لنـــا في البهائم أجراً؟ فقال: «**في كل كبد رطبة أجر**»[٢].

وفي رواية أخرى : «**بينما كلب يطيف (يدور) بركية (بئـــر)**

(١) الإحياء ٣/٣٧٣.

(٢) متفق عليه.

قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فاستقت له به، فسقته، فغفر لها به»(١)

حدَّث محمد بن الفضل عن رجل من أهل البصرة قال: كـــان أعرابيًا صاحب ماشية، وكان قليل الصدقة، فتصدق بغريض مـــن غنمه، (يعني بسخلة مهزولة) فرأى فيما يرى النائم كأنها أقبلـــت عليه غنمه كلها تنطحه، فجعل الغريض يحامي عنه، فلما انتبه قال: والله لئن استطعت لأجعلن أتباعك كثيرة. قال: وكان ذلك يعطي ويقسم(٢).

وها هو جعفر بن محمد بن علي، من شدة ثقته بالله عز وجل، يطعم حتى لا يبقي لعياله شيئًا (٣).

وكان أنس بن سيرين يُفَطِّر كل ليلة من رمضـــان خمســـمائة إنسان (٤).

أما صدقة اللباس الذي يشترك في مهمة عظيمة، وهـــي ســـتر العورة، وما زاد عن ذلك فهو سواء قل أو كثر. فإنهم أصحاب أياد بيضاء وصدقة لا تنقطع.

قال قراد أبو نوح: رأى عليَّ شعبة قميصا، فقال: بكم اشتريت هذا ؟ فقلت : بثمانية دراهم، فقال لي : ويحك، أما تتقي الله ؟ ألا

(١) متفق عليه.
(٢) تنبيه الغافلين ص ٢٥٢.
(٣) صفة الصفوة ١٦٩/٢.
(٤) شذرات الذهب ١/١٥٧.

اشتريت قميصاً بأربعة دراهم وتصدقت بأربعة كان خيرا لـــك ؟ قلت : يا أبا سطام، أنا مع قوم نتجمل لهم، قال : أيـــش نتجمـــل لهم؟[١].

أيها الحبيب:

كان عمرو بن قيس الملائي يقول : إذا سمعت شيئا من الخـــير فاعمل ولو مرة به تكن من أهله.

اعمل الخير ما استطعت وإن كان قلـــيلاً فلـــن تحـــيط بكلــــه

ومتى تفعل الكثير من الخـــير إذا كنـــــت تاركـــا لأقلــــه؟ [٢]

قال محمد بن إسحاق: كان الناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحســـن فقـــدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل [٣].

وجاءت امرأة إلى الليث بن سعد فقالت : يا أبا الحـــارث! إن ابنا لي عليلًا واشتهى عسلاً فقال: يا غلام، أعطها مرطاً من عســـل (والمرط عشرون ومائة رطل).

وكان أحمد بن إبراهيم، كثير الصدقة، سأله ســـائل فأعطـــاه درهمين، فحمد الله فجعلها خمسة، فحمد الله فجعلها عشرة، ثم ما زال يزيده ويحمد السائل الله حتى جعلها مائة فقال: جعل الله عليك

---

(١) صفة الصفوة ٣/٣٥٠.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٢٠٤.

(٣) البداية والنهاية ٩/١١٧.

واقية باقية. فقال للسائل: والله لو لزمت الحمد لأزيدنك ولـــو إلى عشرة آلاف درهم [١].

وعندما عوتب الحسن بن سهل وقد كثر عطاؤه على اخـــتلال حاله فقيل له: ليس في السرف خير، قال: بـــل لـــيس في الخـــير سرف[٢].

قد اشترى خالد الطحان نفسه من الله أربع مرات، فتصـــدق بوزن نفسه فضة أربع مرات.

وإن من علائم الخير في الأمم أن تـــرى أبناءهـــا في حيـــاقم الشخصية والعائلية لا ينفقون إلا بقدر معتدل، ولا يبذلون إلا مـــا هو في حدود الكفاية. ولكنهم في حياقم الاجتماعية أسخياء كرماء لا يعرفون للكرم حدودا ولا غاية، هكذا يعيش أبناء العالم المتحضر اليوم، يقتصد أحدهم في الإنفاق على نفسه إلى درجة تُقَرِّبُ مـــن البخل، فترى الغني يلبس الثوب البسيط، ولكنه ينفق الملايين علـــى جامعة تؤسس، أو على ميتم ينشأ، أو على بحث من أبحاث العلـــم يحتاج إلى من يتفرغ له.

ولقد سبقهم أهل الإسلام بذلك، فلقد كان أبو بكر -رضـــي الله عنه- في حياته الخاصة من أبسط الناس معيشة ومأكلا وملبساً، حتى إذا احتاج المسلمون إلى المال للإنفاق في غزوة تبوك أخـــرج ماله كله. وهذا عثمان رضي الله عنه، الغني، يصيب الناس في عهد

---

(١) البداية والنهاية ١٣١/١١.

(٢) وفيات الأعيان ١٢١/٢.

عمر قحط وشدة، فتأتيه قافلة من الشام ألف جمل، عليها أصـــناف الطعام واللباس مما لا يُقَدَّر في تلك المحنة بثمن، فيجيئـــه التجـــار يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة، فيقول : كم تعطوني ربحا؟ قـــالوا : خمسة في المائة، قال : إني وجدت من يعطيني أكثر، فمـــا زالـــوا يزيدون حتى أعطوه عشرة بالمائة، فقال لهم : لقد وجـــدت مـــن يعطيني أكثر، فتصدق بها [١].

وبعض الأُسَر المتحضرة المتعلمة تتميز بصفاء القلب

وكرم النفس وسخاء اليد، فلها في ذلك سهام تصل إلى الفقراء والمساكين والجيران وذوي الرحم، وهم مع هذا الإنفاق أهل مأكل وملبس لا يتميز عن غيرهم، رغم أنهم نشؤوا في غنى قديم ونعمـــة متواترة، وغدًا تضم القبور من أكل كثيراً ومن لم يأكل إلا قلـــيلاً، ومن لبس الحرير ومن لبس دون ذلك، ولكن يبقى العمل وتتجلى أنوار العبادة في قبور مظلمة وصحبة موحشة.

سئل سعيد بن عبد العزيز عن الكفاف من الرزق ما هو؟

فقال : شبع يوم وجوع يوم [٢].

حتى متى تسقى النفوس بكأسها
ريب المنون وأنت لاه ترتع
أفقد رضيت بأن تعلل بالمنى
وإلى المنية كل يوم تُدفع

(١) أخلاقنا الاجتماعية د. مصطفى السباعي ص٢١.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢١٩/١.

أحلام نوم أو كظل زائل
إن اللبيب بمثلها لا يخدع
فتزودن ليوم فقرك دائماً
واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع[١]

وهذه نداءات خاصة للنساء فقد قال رسول الله ﷺ : «**تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن**»[٢].

وقال ﷺ : «**يا معشر النساء ! تصدقن، وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**إذا أنفقت المرأة في طعام زوجها غير مفسدة، كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئاً**»[٤].

ومن صور الاستجابة في عهد الرسول ﷺ ما روته أم سنان الأسلمية رضي الله عنها في غزوة العسرة حين قالت:

«لقد رأيت ثوبا مبسوطا بين يدي النبي ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها، فيه مُسك، ومعاضد، وخلاخيل، وأقرطة، وخواتيم، وقد ملئ، مما بعث من النساء يعن به المسلمين في

(١) السير ٤/٢١٦.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الجماعة.

جهازهم»[(١)].

والدعوة عامة لنا جميعا معشر الرجال والنساء، قال الله تعالى في عطاء جزيل ومنة عظيمة من رب كريم رحيم: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[(٢)].

شبه الله سبحانه نفقة المنفق في سبيله — سواء كان المراد بها الجهاد أو جميع سبل الخير من كل حبة — بمن بذر بذرًا، فأنبتت كل حبة منه سبع سنابل، اشتملت كل سنبلة على مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك، بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه ونفع نفقته وقدرها، ووقوعها موقعها.

فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص، والتثبت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلب ثابت، قد انشرح صدره بإخراجه، وسمحت به نفسه، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراجه، غير جزع ولا هلع، ولا مُتبعه نفسه، ترجُف يده وفؤاده [(٣)].

أخي الحبيب:

تأمل في قول الله تعالى: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤/٣٥٠.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٦١.

(٣) التفسير القيم للإمام ابن القيم ص ١٥٠.

وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١].

وأبشر ببشارة من رب الأرض والسماوات ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢].

بعد هذه النداءات المتتالية وصور الإنفاق الطيبة لا تكن كمن قال الله عنهم: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[٣].

ولا تكن ممن هم أشد من أولئك : ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[٤].

فإننا والله كما قال الربيع بن خثيم: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا [٥].

بل وكما قال المغيرة: أصبحنا مغرقين في النعم، عاجزين عن الشكر، يتحبب إلينا ربنا وهو غني عنا، ونتمقت إليه ونحن إليه

(١) سورة النحل، الآية:٩٦.
(٢) سورة النحل، الآية:٩٧.
(٣) سورة محمد، الآية : ٣٨.
(٤) سورة النساء، الآية :٣٧.
(٥) صفة الصفوة ٦٧/٣.

محتاجون [١].

أخي المسلم.. أختي المسلمة:

إن هذا المال الذي هو نعمة أرسلها الله إلينا وجعلنـا أمنـاء عليها، ربما يتحول إلى نقمة إذا لم يكن عوناً على الطاعة، وبلية إذا لم يكن طريقاً إلى الجنة، ولا ندعي كذبا ونباهي زورا أننا جمعنـاه بجدنا واجتهادنا وعرق جباهنا. فقد قال قارون مثل ذلك..﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ**﴾[٢] بل احمد الله أن جعلك ممن نالهم هذا الخير، وكل وأطعم، والبس واكس، وأنفق وتصدق ليوم تشخص فيه الأبصار، واحمد الله عز وجل على أن جعلك تعطي ولا تأخذ، وتتصدق ولا يُتصدق عليك.

أخي المسلم:

وأنت تسير في طريق الإنفاق، لا يغوينك الشيطان ويصدك عن فعل الخير، واستحضر هذه الآية في كل حين : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ**﴾[٣].

ولا تظن أيها الأخ الحبيب أن أبواب الصدقة مقتصرة على دفع

(١) تزكية النفوس ص ٩٦.
(٢) سورة القصص، الآية : ٧٨.
(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٥٤.

المال فحسب، بل هناك أنواع من الصدقة كثيرة دون المال، فمـــن ذلك ما قاله الرسول ﷺ : «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولـــو أن تلقى أخاك بوجه طليق**»[١].

وعن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال: قلـــت: يـــا رسول الله ! أي العمل أفضل ؟ قال: «**الإيمان بـــالله والجهـــاد في سبيل الله**» قلت : أي الرقاب أفضل؟ قال : «**أنفسها عند أهلـــها وأكثرها ثمنا**» قلت : فإن لم أفعل؟ قال : «**تعين صانعاً أو تصـــنع لأخرق**» قلت : يا رسول الله ! أرأيت إن ضعفت عـــن بعـــض العمل؟ قال: «**تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منـــك علـــى نفسك**»[٢].

وفي حديث آخر جمع فيه الرسول ﷺ أنواعا من الصدقة فقال : «**كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليهـــا أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صـــدقة وبكـــل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتمـــيط الأذى عـــن الطريـــق صدقة**»[٣].

ومن أعظم الصدقات صدقة الجاه، وقضاء حـــوائج النـــاس، والشفاعة لهم، خاصة في هذا الزمن، قال رســـول الله ﷺ «**إن لله**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

خلقا خلقهم لحوائج الناس، يفزع الناس إلـيهم في حـوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله»(١).

وقال ﷺ : «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب**»(٢).

ومن أعظم الصدقات إصلاح ذات البَيْن، فقد قال رسـول الله ﷺ : «**أفلا أخبركم بأفضل مـن درجـة الصـلاة والصـيام والصدقة؟**»قالوا : بلى يا رسـول الله، قـال: «**إصـلاح ذات البَيْن**»(٣).

أيها الحبيب:

قال رسول الله ﷺ : «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجـه الله إلا أُجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك**»(٤).

فأبواب الخير كثيرة، وجوَّاد البر معلومة، جعلـني الله وإيـاك ووالدينا من الحامدين الشاكرين الذين ينفقون في السراء والضراء، ممن ينادون يوم القيامة : ادخلوا الجنة لا خوف علـيكم ولا أنـتم تحزنون.

---

(١) رواه الطبراني.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) متفق عليه.